تمهيد

"الهُوية" بين التعريف اللغوى والتعريف الاصطلاحى

يعتبر تحديد المفاهيم فى الدراسات الإنسانية بوجه عام، والاجتماعية بوجه خاص من الأهمية بمكان، حيث أن الموضوعات التى تتناولها دراستنا تختلف حولها وجهات النظر، وبالتالى يختلف المعنى المقصود والكامن من وراء كل وجهة نظر، وخاصة عندما ترتبط هذه المفاهيم باليهود، والتناقضات التى تميزوا بها على مر العصور، خاصة فيما يتعلق بموضوع هويتهم، وبناء على ذلك رأيت أنه من الضرورى تحديد المفاهيم التى تهم الدراسة، وعرضها وفقاً لسياق البحث وأهدافه، ولذلك سوف نستعرض تعاريف المفاهيم التالية والقضايا المرتبطة بها:

"الهُوية" بين التعريف اللُغوى والاصطلاحى :

أولاً : المادة اللغوية لـ"الهُوية" :

"الهُوية" فى اللغة: هى حقيقة الشىء أو حقيقة الشخص المطلقة، والمشتملة على صفاته الجوهرية، وذلك منسوب إلى "هو"، ضمير الغائب المفرد المذكر، ولفظ "الهو الهو" لفظ مركب من هو، جُعل اسماً مُعرفاً باللام ومعناه الاتحاد بالذات ([1]).

ويشير "ابن رشد" (٥٢٠ – ٥٩٥ هـ/١١٢٦ – ١١٩٨ م) بأن " "الهو هو" يُقال فى العدد وذلك فيما كان له اسمان كقولنا: أن محمداً هو أبو عبد الله، وبالجملة متى دل على شىء واحد بعلامتين، ومنه ما هو فى النوع كقولنا: إنك أنت أنا فى الإنسانية، ومنه ماهو فى الجنس كقولنا: إن هذا الفرس هو هذا الحمار فى الحيوانية. وهذا كله من قسمة ما بالذات"([2]).

كما يشير"ابن رشد" فى "تلخيص ما بعد الطبيعة"، إلى أن "هوية" تقال بالترادف على المعنى الذى يُطلق عليه اسم الموجود، وهى مشتقة من "الهو"، كما تُشتق الإنسانية من الإنسان. والهوية فيما يشير "الشريف الجرجانى"(٧٤٠– ٨١٦ هـ / ١٣٣٩ – ١٤١٣م) فى كتابه "التعريفات"، الأمر المتعقل من حيث امتيازه عن الأغيار([3]).

كما يعرف "الجرجانى" أيضاً، الهوية بأنها الحقيقة المكتملة المشتملة على الحقائق إشتمال النواه على الشجرة فى الغيب المطلق، والهوية السارية فى جميع الموجودات ما إذا أخذ حقيقة الوجود لا بشرط شىء ولا بشرط لا شىء([4]).

([1]) معلوف (لويس)، المنجد، فى اللغة والأدب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، بدون تاريخ، ص ٩٦٧.

([2]) القرطبى (العلامة أبى الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد)، رسائل بن رشد، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، ١٩٤٧م، ص ٢٤ .

([3])منير(د. وليد)،نص الهوية، قراءة فى"محمود درويش"، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م،ص٣٧.

([4]) الجرجانى(على بن محمد بن على)، كتاب التعريفات، نقلاً عن:
http://www.islamicbook.ws/adab%5Cla/altarifat-.pdf/1/1/2009

والهوية عند "أبو نصر محمد الفارابى" (٢٦٠ – ٣٣٩ هـ/٨٧٤ – ٩٥٠م): هوية الشيء وعينيته وتشخصه، وخصوصيته، ووجوده المنفرد له، كلٌ واحدٌ"، كقولنا: "إنه هو" إشارة إلى هويته وخصوصيته، ووجوده المنفرد له، الذى لا يقع فيه اشتراك ([1]).

مما سبق نجد أنه على الرغم من وجود أكثر من تعريف لـ"الهوية" فى اللغة، إلا أن هناك اتفاق على أمر واحد، وهو أن مفهوم "الهوية" يرتبط ارتباطاً مباشراً بكل ما يخص شخصية الفرد ووجوده، وأن "الهوية" فى اللغة العربية مصدر صناعى مركب من "هو" ضمير المفرد الغائب المعرف بأداة التعريف "أل" ومن اللاحقة المتمثلة فى ال "ي" المشددة وعلامة التأنيث أى "ة" .

ويقابل مصطلح "الهوية" فى اللغة العربية، كلمة "Identity"، "Identite" فى الإنجليزية والفرنسية، من الأصل اللاتينى وهو يعنى: مجموع المواصفات التى تجعل من شخص ما هو عينه شخصاً معروفاً. كما يقابل مصطلح "الهوية" كلمة "זהות" فى العبرية المشتقة من الجزر "זהה" الذى يعنى: طابق، ميَّز، شخَّص، أو عيَّن هوية ([2]). وهو يعنى نفس المفهوم العام السابق، وهو أن الشخص هو نفسه مما يميزه عن أى شخص آخر ويختلف عنه .

ونظراً لأنه لا يمكن فصل الفرد عن هويته، فلا يمكن فصل الهوية عن الواقع الاجتماعى الذى يعيشه الفرد، لذلك كان من الضرورى، استعراض مفهوم "الهوية" داخل هذا الواقع بكل ما يشتمل عليه من قضايا سياسية واجتماعية ودينية وسياسية وغيرها، خاصة من خلال وجهات نظر علماء النفس والاجتماع وهو ماسنتناوله فى التعريف الاصطلاحى للهوية .

ثانياً: مفهوم "الهُوية" الاصطلاحى :

الهوية علاقة الشيء بذاته، فالشخص يكابد أو يصارع فى الهوية الأنا الخاصة به مع ذاته، وفقاً للمتغيرات التى تحدث له. والتساؤل هو: هل الإنسان فى طفولته وشيخوخته هو نفس الشخص؟ وهل الشخص بمصائره المتغيرة هو نفسه هذا الشخص؟ .

تناول العلماء الهوية من زوايا مختلفة، كعلم السياسة وعلم النفس والفلسفة والدين، فظهرت اتجاهات كثيرة فى دراسة الهوية، وأصبح من الضرورى معرفة ما يمكن أن تمثله الهوية.

فسّر "جون لوك" (١٦٣٢ – ١٧٠٤) الهوية عن طريق "الشعور بالذات – الوعى الذاتى للأنا". ويري الفيلسوف "إيمانويل كانت(١٨٠٤ – ١٧٢٤) أن هوية الوعى الذاتى هى مصدر الهوية لكافة الناس، وعندما نتحدث عن هوية العقول فإننا فى الغالب نستعير للعقول التسمية (هوية الأنا)، والتى نتعارك معها فى داخلنا، لقد أصبح (الاتحاد الغيبى للقوى الخارقة للطبيعة)

([1]) بين الهوية والثقافة " مفاهيم - تعريفات وآراء نقلاً عن:
http://www.cpas-egypt.com/pdf/Madiha_abd_elsattar/Ms.c/٠٠٢.pdf/1/1/2009

([2]) سجيف(دافيد)، قاموس عبرى-عربى للغة العبرية المعاصرة، المجلد الأول، دار شوكن للنشر،القدس، تل أبيب ١٩٩٠م،ص٤٨٤-٤٨٥ .

هو مصدر الهوية للناس. ومن منطلق وجهة النظر الشكلية المنطقية ، قَيّم "كريستيان وولف"(١٦٧٩- ١٧٥٤) الهوية فى قوله:" عقول يمكن أن تُقرأ متماثلة،والتى يمكن أن يُطْرَح بعضها محل بعض من خلال الحفاظ على معتقداتها"([1]).

والهوية هى الشفرة التى يمكن للفرد عن طريقها أن يُعرف نفسه فى علاقته بالجماعة الاجتماعية التى ينتمى إليها، ومن خلالها يتعرف إليه الآخرون، باعتباره منتمى إلى تلك الجماعة. وهى تنقسم إلى:

١- الهوية الجماعية: يحملها أعضاؤها الأفراد فى الجماعة، حيث تقوم عناصر زعامية مختلفة، وجماعات ثانوية فعالة بدور أكبر فى تحديد هوية الجماعة أكثر من سائر المنتمين إليها.

٢- الهوية الذاتية للفرد: تتأثر بالهوية الذاتية الجماعية([2]).

ولقد أفرز علماء النفس والاجتماع العديد من التعريفات حول تحديد معنى واضح "للهوية". فنجد "دانيال ميللر" (١٩٥٤م) يتناول الهوية باعتبارها "أنماط السمات التى يمكن ملاحظتها أو استنتاجها، والتى تميز شخصاً فى نظر نفسه، وفى نظر الآخرين"([3]).

ووفقاً لما حدده "ميللر" فينبغى أن نُميز بين الهوية الجماعية الموضوعية وهى: (السمات حسبما يدركها الآخرون)، وبين الهوية الجماعية الذاتية وهى: (إدراكه لنفسه فى نظر الآخرين)، وبين الهوية الذاتية وهى: (الإدراك الذاتى للفرد عن مقدار سماته)([4]).

وتختلف الهوية عن العرقية، فالعرقية هى نسق عرقى يتكون من مجموعة من المراكز أو الأدوار تعتبر نماذج لسلوك الأشخاص الذين يرتبطون من خلال الزواج أو الانحدار من سلف مشترك. وقد يكون ارتباط الشخص فى هذا النسق عن طريق الأب، وقد يكون عن طريق الأم، وقد يكون نسق القرابة ثنائى، حينما يكون الشخص مرتبطاً بطريقة متبادلة مع أقارب الأب والأم([5]).

كما يتم تعريفها غالباً على أساس معايير موضوعيه مثل: الخصائص البيولوجية، والجغرافية،واللغوية، والثقافية، أو الدينية. ولكن المعايير الذاتية تبدو أكثر أهمية من المعايير الموضوعية. وتعرف العرقية ببساطة: بأنها مسألة اعتقاد ذاتى بالسلالة المشتركة([6]).

([1]) האנציקלופדיה העברית , ספרות , כללית, יהודית, וארצישראלית, כרך ששה-עשרה, ירושלים, תל-אביב , 1974 ,זהות, עמ' 629 .

([2]) الشامى (د.رشاد عبد الله)، إشكالية الهوية في إسرائيل، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٩٧، ص٧.

([3]) المرجع السابق، ص٨ .

([4]) المرجع السابق، ص١٠ .

([5]) غيث (محمد عاطف)، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية ١٩٦٦م، ص٢٦٣ .

([6])أمارة (د. محمد)، اللغة والهوية فى إسرائيل،المركز الفلسطينى للدراسات الإسرائيلية، فلسطين٢٠٠٢م،ص١٧

وللتمييز بين الهوية الجماعية، والهوية التى تنعكس فى الفرد، نجد أن "إريك إريكسون Erik Erikson" (١٩٠٢م-١٩٩٤م)، لدى بحثه للصياغة التى توصل إليها "سيجموند فرويد" (١٨٥٦-١٩٣٩) "لهويته الداخلية" مع اليهودية، فإن "أريكسون" يتحدث عن (البعد الموضوعى للتكتل الداخلى للجماعة) والذى ينعكس فى الفرد([١]). وبالتالى ركَّز "إريكسون" على دور "الأنا" أكثر من تركيزه على "الأنا العلي"، وأنا النمو الصحى لـ "لأنا" (الهوية كما عبَّر عنها إريكسون) يكون أفضل عند حل الصراعات الداخلية القوية، والنقطة المركزية فى نظريته، هى البحث عن الذات وتحقيق الهوية([٢]).

وامتداد لنظرية "إريكسون" حول أهمية إحساس الفرد بالهوية خلال كل مرحلة من مراحل النمو النفسى الاجتماعى، يؤيد " جيمس مارشيا Marcia"- أحد المحللين النفسيين – فكرة "إريكسون" عن الهوية، من حيث أنها يجب أن تخضع لنظام تصنيفى يشمل أربعة حالات للهوية([٣]). وهى وفقاً لـ"مارشيا": أشكال من الهوية أو "رتب" تنشأ فى فترات الذروة لنمو الشخصية، والتى تتشكل فى مرحلة المراهقة ما بين ١٨-٢٢ سنة باعتبار أن هذه المرحلة تمثل مرحلة أزمة يمر بها المراهق، وهى:

١- تحقق (أو إنجاز) الهوية Identity achievement : وهى التى تُعبر عن تكامل تطور ونمو الشخصية فى هذه المرحلة، و أن الفرد مر بفترة استكشاف للبدائل، واستطاع أن يحل المشكلات بنفسه ويحقق نوعاً من الالتزام المحدد.

٢- تأجيل (أو تعليق) الهوية Identity Moratorium : وهى المرحلة السابقة على تحقق الهوية ، حيث يكون الفرد فى فترة الاستكشاف ، يبحث خلالها الشخص عن اختيارات مقبولة.

٣- إعاقه (أو تعويق) الهوية Identity Foreclosure : وهى تشير إلى عدم قدرة الفرد على الاستكشاف، والاستمرار فى الالتزام بقيم ومعايير الطفولة.

٤- تشتت (أو انتشار) الهوية Identity diffusion : وهى أقل مستويات نمو الشخصية فى تلك الفترة، وتشير إلى الشخص غير الملتزم بأى إتجاه محدد، سواء حدث له استكشاف للبدائل أم لا([٤]).

([١]) الشامي(د.رشاد عبد الله) ، إشكالية الهوية في إسرائيل، المرجع السابق، ص٩ .

([٢]) علوان (أمل حسن عبد المجيد)، حالة الهوية - دراسة مقارنة لبعض الفئات من المراهقات بالمؤسسات الإيوائية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة عين شمس ٢٠٠٨م، ص٣٣.

([٣]) المرجع السابق، ص٣٩.

([٤]) عبد المعطى(حسن مصطفى)، النمو النفسى الاجتماعى وتشكيل الهوية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ٢٠٠٤م، ص٥٥-٥٦.

ويُعد "البحث عن الهوية" ومحاولة رسم أبعادها من أكبر التحديات التى يجابهها الفرد، ذلك التحدى الذى يتجسد فى تساؤله المُلح: مَن أنا؟ والذى يُمثل جوهر الصراع فى مرحلة الشباب، تلك التى تتسم مساحتها السيكولوجية بثقل أعبائها الاجتماعية والنفسية([1]). من هنا كان لابد من فهم "الهوية" فى ضوء العديد من المتغيرات الثقافية، واللغوية، والاجتماعية، والسياسيه وغيرها، والتى تحيط بالفرد وتؤثر فى تشكيل هويته.

أُطُر الهُوية :

أولاً: الهوية فى الإطار الثقافى واللغوى :

أ – الثقافى : تُعد الثقافة الوطنية هى من – ثوابت الأمة –، من حيث ارتكازها على مسلمات مثل: الدين وما ارتبط به من تصورات تعميمية لدلالاته المعنوية. فالثقافة الوطنية ومن ثم الهوية الوطنية كيان متحرك، لأنه كيان تاريخى يخضع لشرطى الزمان و المكان، أى يخضع لشرط المعطيات التى تطرحها مرحلة تاريخية محددة دون غيرها. و غياب هذه الآلية هو المسئول عن اندثار كثير من الثقافات و معها شعوبها([2]).

ويرى أحد الباحثين أن الهوية الثقافية يجب أن تُفهم ليس باعتبارها تركيباً أو بناء منبثقاً عن الماضى، ولكن نفهمها كمشروع كما يراه "جورج لارين ..." على أساس تحرير الذات من سلبيات ماضيها. ويتضمن تعريف الذات الثقافية تمييزها عن قيم و سمات و طرق الحياة عند الآخر. حيث يرى "لارين" أن الثقافة هى إحدى المحددات الرئيسة للهوية الشخصية، كما تتسم الثقافة بتنوع طرق الحياة([3]).

ب– اللغة: تعتبر اللغة هى إحدى مقومات الثقافة فى أى أمه. فليس من شك فى أن للكلمة المنطوقة دورها الهام فى المجتمع، فاللغة فى النهاية نتاج متراكم تاريخياً لعمليات التفاعل الإجتماعى. ولذلك لم يكن غريباً أن ترتبط اللغة ارتباطاً وثيقاً بمفهوم القومية، رغم تباين الأشكال التى يمكن أن تتخذها هذه الرابطة. وقد توالت مجموعة من البحوث تستهدف التوصل إلى شخصية الجماعة، من خلال تحليل خصائص اللغة التى يستخدمها أفراد هذه الجماعه فى تخاطبهم([4]).

([1]) علوان (أمل حسن عبد المجيد)، حالة الهوية، مرجع سابق، ص٢٢.

([2]) السروى (د.صلاح)، نصوص الأدب المقارن-الجهود العربية، دار الأقصى للطباعة، القاهرة ٢٠٠٤م،ص٩.

([3]) لارين (جورج)، الأيديولوجيا والهوية الثقافية-الحداثة وحضور العالم الثالث، ترجمة: فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولى، القاهرة ٢٠٠٢م، ص ٢٣-٢٤ .

([4]) حفنى (د. قدرى) ، دراسة فى الشخصية الإسرائيلية "الأشكنازيم"، مكتبة مدبولى، ط١، القاهرة ١٩٩٣، ص٧٨-٧٩.

ويرى بعض العلماء أن اللغة هى أحد أهم مؤشرات الهوية الفردية والجماعية. إنها أحد المكونات الرئيسة التى بها تُعرف المجموعات وتُشكل هويتها، وهى تؤثر أيضاً على العلاقات بين المجموعات العرقية المختلفة. ويرى البعض الآخر أن اللغة هى إحدى المكونات الرئيسة التى تستعملها المجموعات كرمز للهوية والانتماء الثقافى. ولكن طبيعة العلاقة بين اللغة والهوية ليست دائماً واضحة، فهناك من ينكر الصلة المباشرة بين اللغة والهوية العرقية، ويدعى أن العلاقة بينهما عارضة، أما الاتجاه الآخر يشدد على أن اللغة وسيلة الهوية، وهى المعيار الأساسى إلى جانب التراث الثقافى، والقيم والمعتقدات. وبالرغم من ذلك فإن أهميتها تختلف باختلاف الأوضاع، وتعتمد الرابطة بين اللغة والهوية على السياق الاجتماعى المتعلق بالجماعات اللغوية المقصودة، والتى قد تزداد أو تقل بالنسبة للمجموعة نفسها حسب الظروف الاجتماعية([1]).

ثانيا : الهوية فى الإطار الاجتماعى :

إن الهوية الاجتماعية كما طوّرها بشكل رئيسى " تاجفل "(١٩١٩م-١٩٨٢م) هى: "ذلك الجزء من المفهوم الذاتى للفرد الذى يستمد من معرفته فى مجموعة اجتماعية، مع القيم والأهمية العاطفية المرتبطة بتلك العضوية"([2]).

فالفرد فى كل الأوقات تركيب عضوى، وفى نفس الوقت عضو فى المجتمع، وهو مرتبط بالثقافة وبالعمليات الاجتماعية التى تساعده على البقاء([3]).

ويرى أحد علماء النفس الاجتماعى، أنه لابد من دراسة الذات فى اعتمادها على الجماعة الاجتماعية التى تنتمى إليها . وأن الذات ليست معطاه بل متطوره فى الفرد كنتيجة لخبراته الاجتماعية . لأن الذات تنشأ فى مضمون أو محتوى متنوع من الخبرات الاجتماعية المعقدة جداً، والحافلة بجوانب وأدوار تشير إلى علاقات اجتماعية معينة، ولا تشير لأخرى، ويميز أيضاً بين "أنا" أو "I" كضمير: وهو استجابة ورد فعل الفرد بالنسبة لاتجاهات الآخرين، و"أنا" كذاتى "ME" : هى تنظيم مجموعة من اتجاهات الآخرين التى تُشكل بناء الذات([4]).

ويرى بعض أساتذة العلوم السياسية، أن الصراع حول الهوية ليس صراعاً عقلياً مجرداً، إنما هناك دائماً عوامل اجتماعيه تؤثر وتتأثر بهذا الصراع([5]).

([1]) أمارة (د. محمد) ، اللغة والهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، ص١٨-١٩ .
([2]) المرجع السابق، ص١٦.
([3]) عبد المعطى (حسن مصطفى)، النمو النفسى الإجتماعى وتشكيل الهوية ، مرجع سابق، ص١٨ .
([4]) لارين (جورج)، الأيديولوجيا والهوية الثقافية الحداثة وحضور العالم الثالث، مرجع سابق، ص ٢٤٦ .
([5])Hovsepion(Nubar), competing identities in the arab world, Journal of international affairs, summer 1995, p49

كما وجد "جيمس مارشيا" أن الواقع الإجتماعى له أكبر تأثير فى تحديد نوع الهوية، فمثلاً وجد أن من لديهم "تشتت للهوية" من الجنسين هم أكثر بعداً عن أسرهم عنه بالنسبة للمراهقين فى حالات الهوية الأخرى، ووجد أيضاً فى حالة " تعويق الهوية " فى العائلات التى يكون فيها الآباء هم المسيطرين والموجهين لأبنائهم، وغالباً ما يكون الأبناء فى هذه الحالة أكثر استعداداً لإشراك عائلاتهم فى اتخاذ قرارات مصيرية، بينما نجد العكس فى حالتى "تحقق الهوية" و "توقف الهوية" – بالنسبة لكلا الجنسين– فهم لا يجيئون عادة إلى والديهم بسبب التوتر أو التناقض الوجدانى([1]).

ثالثاً: الهوية فى الإطار الدينى :

يمكن تقدير هوية الفرد من خلال أيديولوجيته (أفكاره و معتقداته). فأحد افتراضات نظرية النمو النفسى الاجتماعى يقوم على أن الفرد فى أثناء تحركه من شخص(متلقى) عام فى مرحلة الطفولة، وتحوله إلى (معطى) عام فى الرشد، فإنه فى أثناء هذا التحرك النمائى يحدث تغيير فى النسق الفكرى لديه. فالمعتقدات الدينية التى تتشكل فى مرحلة الطفولة من المفترض أنها لاتعمل– تقريبا– إلا فى نطاق ضيق فى مرحله الرشد([2]).

وقد يتكون لدى الفرد أيديولوجيه لاتشتمل على أى معتقدات دينية، ورغم ذلك فإن هذه الأيديولوجية لابد وأن تأخد فى الحسبان وجود قضايا دينية مثل: وجود الله، ومعايير القضايا الأخلاقية وغيرها. وعلى هذا فإن التساؤلات عن المعتقدات الدينية هى مدخل سهل للعالم الأيديولوجى للفرد، وتؤخذ الاستجابات ذات المغزى الفكرى عن قضايا الدين كدليل على البناء الأيديولوجى والفكرى المصاحب لتشكيل الهوية . فالذى يميز مراتب الهوية لدى الفرد هو قدرته على تحديد معتقد دينى بعينه من عدمه ([3]).

رابعاً : الهوية فى الإطار السياسى :

إن الآراء السياسية من القضايا التى تساهم فى تقدير هوية الفرد، والتى تمدنا بأفكاره ومعتقداته. فلما كان الانتقال من الطفولة إلى الرشد يحتاج إلى توافر المسئولية حيال دائرة حياة الآخرين، فإن الالتزام بالآراء حول القضايا السياسية والاجتماعية يُعد أحد مظاهر الإحساس بالمسئولية([4]).

([1]) مرسى(د. أبو بكر مرسى محمد)، أزمة الهوية فى المراهقة والحاجة للإرشاد النفسى، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ص ٢٤.

([2]) عبد المعطى (حسن مصطفى)، النمو النفسى الإجتماعى وتشكيل الهوية ، مرجع سابق، ص٨٣ .

([3]) المرجع السابق، ص٨٤ .

([4]) المرجع السابق، ص٩٨ .

ويشكل الجانبان السياسى والدينى مدخلاً ثابتاً لفلسفة الفرد فى الحياة، وقد يوجد أشخاص بلا التزامات دينية، ولكنهم يملكون التزامات سياسية واجتماعية والعكس بالعكس. فيجب إمعان النظر فى الالتزام الذى يوليه الفرد للمعتقدات السياسية نفسها، وعلى قدر مايكون عقلانياً فى التزامه السياسى بقدر ما نحكم على تشكيل الهوية (١) .

ومن هنا يتضح أيضاً أن المعتقدات والميول السياسية ليست فقط وحدها هى التى تشكل هوية الفرد ككل، وإنما يمكنها فقط أن تُعبِّر عن جزء منها. فيمكن أن يتبنى الفرد لنفسه أى هوية من الهويات فى الأطر السابقة، وقد تتجمع جميع الهويات داخل هوية واحدة. وهو ما نجده عند "إريك إريكسون"، الذى يعترف بصعوبة تعريف الهوية، بالرغم من أبحاثه العميقة فيها، فيقول، أن "هوية الأنا تتطور من الإمتزاج التدريجى لكل الهويات" (٢) .

خامساً: الهوية فى إطار المنهج السيكولوجى التاريخى :

هذا المنهج يستند إلى خطوط فى الشخصية ليست بالضرورة معروفة. إن المنهج السيكولوجى التاريخى يتناول البعد السيكولوجى للأحداث التاريخية، بمعنى كيف تتطور الشخصية والهوية فى موقف تاريخى معين، حينما يكون التأثير عن طريق أيديولوجيات مختلفة، وكيف تؤثر على التاريخ، وحينما يمر التأثير مرة أخرى عبر الأيديولوجيا، فإن التأكيد يكون أولاً وقبل كل شىء على تأثير المواقف التاريخية على شخصية الفرد وليس العكس – ويعتمد هذا المنهج من الناحية النظرية على دراسات "إريك إريكسون" و "ر.ج ليفتون". ويعترف هذا المنهج بعناصر الشخصية، وبالاحتياجات الأساسية والعالمية، التى تتجلى فى صور مختلفة، فى مواقف تاريخية معينة، وهنا تكون المفاهيم الرئيسية العامة، من أجل بحث الصراعات السياسية هى مفاهيم الأيديولوجيا، والهوية، والتصور الذاتى. (٣)

ومن الممكن تحديد الأيديولوجيا استناداً إلى إريكسون"، على إنها مجموعة التصورات والعقائد التى تُتيح وجود هوية معينة، أو على إنها إطار لإدراك الواقع وفقاً لعمليات الحسم القيمية المحددة الثابتة، وفى حالة هذا الصراع، مثل سائر الصراعات الأخرى، يكون المغزى السيكولوجى للأيديولوجيا هو أن الجماعات المتنازعة تختلف فى إدراك واقعها، ولا تنحصر فى تلك المظاهر المرتبطة بالبيئة، ولا تحدد مكاسبها وخسائرها بنفس الصورة . (٤)

---

(١) عبد المعطى (حسن مصطفى)، النمو النفسى الإجتماعى وتشكيل الهوية، مرجع سابق، ص٩٩ .
(٢) الشامي(د.رشاد عبد الله) ، إشكالية الهوية في إسرائيل ، مرجع سابق، ص٨.
(٣) الشامى (د.رشاد عبد الله)، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، عالم المعرفة، الكويت، يونيو ١٩٨٦، ص١٦.
(٤) المرجع السابق، ص١٧ .

تضارب الآراء واختلافها حول مفهوم الهوية :

يُعلن بعض الباحثين المحدثين أنه يجب أن لا تكون لنا هويات دائمة، وإنما فقط هويات مرنة، مؤقتة، ومتنقلة: كل شيء صلب يذوب فى الهواء. ومن جهة أخرى، فإن العلاقات العرقية ترتبط بالتسامح حيال الهويات الأخرى بدرجة الأمان التى تتمتع به المجموعة، ونظرة أفراد المجموعة حيال هويتهم. وعلى ضوء ذلك، إستنتج بعض العلماء بأنه: "كلما كان أعضاء المجموعة أكثر أمناً وايجابية حول هويتهم، فإنهم يكونون أكثر تسامحاً مع المجموعات الأخرى"([1]).

كما أن هناك ثمة فلاسفه تعترض على مفهوم "الهوية الشخصية" من الأساس: فنجد منهم من يثير الشك فى وجود الجوهر الإنسانى، بل وينكره على الإطلاق، ويعتبر الهوية الشخصية وهماً من الخيال، لا يتفق مع معنى التغير فى الزمان. ويتابع "فريدريك فيلهيلم نيتشه"(١٨٤٤-١٩٠٠) بأن الذات ليست شيئاً ما مُعطى، إنها شيئاً ما مخترعاً من خلق ماهو موجود. كما يُدخل "فرويد" الشك حول تماسك الذات وتكاملها، وردِّها إلى قوى ليست واعية بذاتها . وجميعهم رأوا أن الهوية فيما بعد الحداثة تنقصها الذات المستقلة، المتماسكة، والمتكاملة، فلا هى ذات ثابتة، ولا هوية دائمة . فالذات تفترض هويات مختلفة فى أزمنة مختلفة، فالإستمرار هما صفات المجتمع التقليدى ([2]).

ونلاحظ مما سبق أن هناك تضارب فى آراء بعض علماء النفس والإجتماع عن كيفية استخدام بعض المصطلحات المرتبطة بموضوع الهوية، مثل مصطلح "الأنا" "Ego" و "الذات" "Self" و "الشخصية" "Person"، حيث يستخدمها البعض بالتبادل على أنها تُشير إلى نفس المعنى، والبعض الآخر يتجاهلها، ولا يلتفت إلى مدى اختلاف أو اتفاق هذه المصطلحات، ولذلك سوف نُشير إلى الفرق بين هذه المصطلحات:

الفرق بين "الأنا" و "الذات" و "الشخصية":

أولاً "الأنا" : ينظر لها "فرويد" على أنها جزء من الشخصية وتمثل "ذلك القسم من "الهو" الذى يؤثر العالم الخارجى فيه تأثيراً مباشراً بواسطة جهاز الإدراك الحسى([3]). وبالتالى فإن المقصود "بهوية الأنا" هو تحديد الفرد لمن يكونه وما سيكونه بحيث يكون المستقبل المتوقع امتداداً واستمراراً لخبرات الماضى أو تكون خبرات الماضى متصلة بما يتوقعه من مستقبل اتصالاً ذا معنى. وينطوى تكوين الهوية على الإحساس باستمرار الكيان الداخلى، مضافاً إلى ذلك التوحد مع شيء خارج هذا الكيان، وهذا يعنى أن الفرد يعيش ليحقق توقعاته لنفسه،

([1]) أمارة (د. محمد) ، اللغة والهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، ص١٨.
([2]) لارين (جورج)، الأيديولوجيا والهوية الثقافية الحداثة وحضور العالم الثالث، مرجع سابق، ص ٢٤-٢٥-٢٦
([3]) مرسى(د. أبو بكر مرسى محمد)، أزمة الهوية فى المراهقة والحاجة للإرشاد النفسى، مرجع سابق، ص٥٢ .

وتوقعات المجتمع أيضاً، مع سعى الفرد الدائم للمحافظة على استمرار تصوره لهذا الكيان الداخلى، واعتراف الآخرين لهذا التماثل والإستمرار، وهو ما أكد عليه " إريكسون " عند الحديث عن صراع "هوية الأنا" عند المراهق ([1]) .

ثانياً "الذات" : يشير لفظ "الذات" عند بعض علماء النفس بأنه الكيان الجوهرى أو الخاص الجزئى لشخص واحد، وقد تُستخدم كمرادف للشخصية، فلفظ "الذات" يؤكد شعور الفرد بكيانه"، كما يصفها البعض الآخر: "أنها تمثل المجموع الكلى لأفكار واتجاهات الفرد عمن هو ومن هو، وأنها تتضمن كل الخبرات التى تكون إدراك الشخص وإحساسه بوجوده"([2]).

ثالثاً "الشخصية" : إن مصطلح "الشخصية"([3]) ويعنى مجموعة من الصفات التى تميز الشخص، و"الشخصية" إما فردية أو قومية، أما "الشخصية الفردية"، فى جوانب عديدة منها، هى نتيجة عملية تفاعل مركبة بين الإنسان الفرد من جهه، وبنيان مجتمعه، وثقافته، وتاريخه، وبيئته الطبيعية و الاجتماعية من جهة أخرى. أما "الشخصية القومية" فهى شخصية تنتج عن عملية تفاعل تمتد ردحاً من الزمن، بين جماعة من الجماعات البشرية من جهة، وتشكيل اجتماعى، وتاريخى، وبيئة طبيعية من جهة أخرى. ومن خلال الامتداد الزمنى تكتسب هذه الجماعة سمات معينة، وهوية محددة تصبح ثابتة أو شبه ثابتة، يُفترض أنها تُميزها عن غيرها من الجماعات البشرية الأخرى([4]). يتضح مما سبق أن اختلاف علماء النفس والاجتماع حول تحديد مفهوم واحد للهوية، يرجع إلى ما ذهب إليه البعض من أن تعريف الهوية ليس أمراً يُبحث عنه فى القواميس، وإنما هو فى الأساس موقف فكرى وسياسى، والحقيقة أنه ليس هناك تعريف صحيح وآخر خاطىء للهوية...وإنما هناك تعريف ملائم وتعريف غير ملائم، مفيد أو غير مفيد، فى ظروف تاريخية وسياسية واجتماعية معينة. من هنا يمكننا القول أن الهوية موقف فكرى ثقافى اجتماعى سياسى ودينى، قبل أن يكون مجرد مصطلح يشير إلى جملة من الأشياء تتسع أو تضييق حسب رؤية المفكرين، والذى قد يميز مجموعة من الأشخاص عن الأخرى فى نفس المجتمع. ومن هنا كانت خصوصية هذا المفهوم، وخاصة عند تطبيق هذه المفاهيم على مجتمع يتميز هو الآخر بخصوصية معينة، كالمجتمع الإسرائيلى بكل تناقضاته، وتنوع مفاهيم الهوية لديه، وهو ما سنعرض له بشىء من التفصيل فى أبواب البحث وفصوله...

([1])مرسى(د. أبو بكر مرسى محمد)، أزمة الهوية فى المراهقة والحاجة للإرشاد النفسى المرجع السابق، ص٥٤

([2]) المرجع السابق، ص ٥٣ .

([3]) مصطلح "الشخصية" فى اللغة العربية مأخوذ من لفظ "شخص"، وفى الإنجليزية مأخوذ من اللفظ اللاتينى "بيرسونا persona "، وهو القناع الذى يرتديه الممثل ليعبِّر عن السمة الأساسية للشخصية التى يؤديها. أنظر: المسيرى (د. عبد الوهاب)، من هو اليهودى ؟ ، الطبعة الثالثة، دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٢ م، ص٩ .

([4]) المرجع السابق، ص٩ .